مكانة القرآن الكريم

في حركة الثورة ونظام الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران

السيّد محمّد حسين رئيس زاده*

الكلمات المفتاحيّة: القرآن الكريم، الثورة الإيرانيّة، إيران، الأنبياء، الإمام الخميني، الإمام الخامنئي.

يشير العنوان إلى ما هو بديهيّ عندما يكون مدار الكلام حول مكانة القرآن الكريم في ثورة الشعب الإيرانيّ، وفي تأسيس الجمهوريّة على صراط آياته العظيمة. غير أنّ إعادة تفعيل النقاش بصدد هذه البديهة يبدو ضروريًّا لندرك الأثر العميق الذي يؤدّيه الالتزام بالوحي الإلهيّ في حركة التاريخ، وفي بناء الاجتماع الإنسانيّ، وصولًا إلى الحضارة الفاضلة.

وليس ثمّة أدين ريب، بأنّ القيادة المسدّدة حين أطلقت النهضة الإسلاميّة المعاصرة في أواخر القرن العشرين المنصرم، كانت على يقين بأنّ نحضةً عظمى، كهذه، لن تنال فلاحها، واقتدارها، وتأييدها الإلهيّ، إلّا من خلال التمسّك بكتاب الله، والسنّة المقدّسة، والعترة الطاهرة من بيت النبوّة. وبهذه الدالّة، لن يكون غريبًا أن نرى أنّ الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة فعلًا قرآنيًا محمّديًّا بامتياز كبير.

ولذا، فإنّ الحديث عن دور القرآن الكريم في الثورة الإسلاميّة ومكانته فيها يتوقّف مسبقًا على قبول أصلين موضوعيّين، وهما:

- 1. إنّ القرآن الكريم الذي هو الوحي الإلهيّ الذي نزل على قلب رسول الله، صلّى الله عليه وآله، هو كتاب هداية يحوي المعارف الأساسيّة التي تحتاجها البشريّة للوصول إلى الكمال والسعادة، وفي مقدّمها الأمور السياسيّة والاجتماعيّة.
- 2. القول بضرورة الإيمان بديمومة حضور القرآن في الزمن، لكي تنجز القوانين والأوامر والنواهي الواردة فيه جميعًا إلى يوم القيامة، وهذه القوانين ليست خاصة بعصر النزول أو عصر حضور المعصوم، صلّى الله عليه وآله.

_

^{*} المستشار الثقافي للمستشاريّة الثقافيّة الإيرانيّة في لبنان.

ومؤدّى هذين الأصلين هو على خلاف ما تذهب إليه العلمانيّة واللائيكيّة، والقول بمزج الدين بالسياسة؛ وهذا ما نعتقد به في الثورة الإسلاميّة. وفي هذا الجال، قام علماء كثر بالبحث في صحّة هذين الأصلين، ودوّنوا أسفارًا ضخمة حولهما؛ ونحن هنا لن ندخل في البحث عنهما توفيرًا للوقت.

لقد حضر القرآن الكريم، في مجمل معارف الثورة الإسلاميّة منذ تكوينها وحيّى انتصارها واستمرارها. ومن هنا، يُنظر إلى قيام الثورة الإسلاميّة على أساس ثورة العودة والرجوع إلى القرآن الكريم. ذاك أضّا تتغذّى بأصولها من تعاليم القرآن الكريم، ويسير منهجها نحو تطبيق تعاليمه القيّمة في الجالات السياسيّة والاجتماعيّة كلّها؛ لأنّ العودة إلى القرآن الكريم تخلق في نفوس المسلمين حافزًا ودافعًا لمحاربة الاستعمار، والظلم، والاستبداد، لنيل العرّة، والكرامة، والفحر، والرفعة؛ والأهمّ من ذلك كلّه، التقرّب إلى الله سبحانه وتعالى.

وامتلأت ثقافة الثورة، أيضًا، بمكانته العالية، وأتاحت له دورًا أساس في التشريع والقيام بنشره وحفظه. فيمكن أن نقول، ثمّة تأثيرًا وتأثّرًا متبادلَين بين الثورة والقرآن الكريم؛ فلولا القرآن الكريم لما حدثت هذه الثورة، ولولا الثورة لما انتشر فيه حاليًّا.

وسوف ندرس الموضوع في محورين:

المحور الأوّل، وهو دور القرآن في تأسيس الثورة ونظام الإسلام السياسيّ في إيران في مراحلها جميعًا، ابتداءً من التكوين والانتصار إلى الاستمرار.

المحور الثاني، هو كيفيّة تعامل الثورة مع القرآن بعد الانتصار.

أمّا فيما يتعلّق بالمحور الأوّل، فيمكن القول: كان دور القرآن حاسمًا في تشكيل وعي القيادة والشعب ضدّ الطاغوت، ودفعهم إلى القيام بالثورة والصمود ضدّ جبروت السلطة الملكيّة الاستبداديّة. وكثيرة هي الآيات التي تدعو الناس إلى المواجهة ضدّ الجبابرة والطغاة. وقد تأثّر الشعب والقادة بما، كما استفادت القيادة من هذه الآيات في توعية الناس وحشد قواها وقدراتها.

وهنا نشير إلى بعضها: ﴿إِنَّ الله لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۖ ^، ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ 2 ، ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ 3 ، ﴿لَلَذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ﴾ 4 ، ﴿لَا تَتَخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ 5 ،

¹ سورة **الرعد**، الآية 11.

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ٥٠ ، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَالْحَتَبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ 7. والطاغوت هو الذي خرج عن الحدود الإلهيّة، وطغى على ولاية الله، وأنكر ولايته وولاية وليّ الله، فهو في الحقيقة ينكر ربوبيّة الله، ووجوب طاعته، بل يدعو الآخرين إلى طاعة نفسه.

ومنها رؤية القرآن الكريم إلى الاستبداد والديكتاتوريّة، فقد كان واضحًا أنّ الألفاظ الواردة في الآيات المباركة مثل: ﴿ لَأَفَطِّعَنَى ﴾، و ﴿ عَنِيدٍ ﴾، و ﴿ كَبَّارٍ ﴾، و ﴿ حَبَّارٍ ﴾، و ﴿ عَنِيدٍ ﴾، و ﴿ كَبَّارٍ ﴾، و ﴿ مَنْ الله وَلَيْتُ هُمُ وَ لَا يعترف القرآن الكريم بالاستبداد والحكومات الديكتاتوريّة أيًّا كان شكل نظامها السياسيّ. ويعتبرها، بالتالي، غير شرعيّة وغير صالحة للطاعة، بل يجب على المؤمنين الثورة عليها وإسقاطها بوصفها موانع أساسيّة تحول دون انفتاح طريق هداية الناس، ووصولهم إلى الكمال والسعادة الحقيقيّة. أمّا الطاغوت، والاستبداد، والحكومات الديكتاتوريّة، فهي التي تخرج الناس من النور إلى الظلمات، ﴿ الله وَلِيُ النَّورِ ﴾ قمن النَّور إلى الظلمات، ﴿ الله وَلِيُ النَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِحُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ قمن ابتُلي بالظلمة لا يقدر على تشخيص الحق عن الباطل وتمييزه.

وقد سرد القرآن القصص حول الجبابرة والطغاة الذين واجههم الأنبياء، ولعل أبرزها قصة فرعون، ونضال موسى ضده. إذ إن فرعون في القص القرآني هو رمز الطغيان والديكتاتورية في تاريخ البشرية، فإنه مع الوعد والوعيد والتهديد بالقتل والسجن ونحب الأموال، جعل قومه عبادًا له، وأخرجهم من النور إلى طريق الضلال. وقد سرد القرآن كيفية نضال موسى ضده وانتصاره عليه في النهاية.

وسنجد في القرآف، وفي باب الغاية من بعثة الأنبياء، آيات تحثّ الناس على العمل بالقسط، وتطبيق العدالة الاجتماعيّة، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا ﴾ ومن البديهيّ أنّ قيام الناس بالقسط وتطبيق العدالة

² سورة **هود**، الآية 122.

³ سورة **البقرة**، الآية 278.

⁴ سورة **الحج**، الآية 39.

⁵ سورة **الممتحنة**، الآية 1.

 $^{^{6}}$ سورة النساء، الآية 60.

⁷ سورة **النحل**، الآية 36.

⁸ سورة **البقرة**، الآية 257.

⁹ سورة **الحديد**، الآية 25.

الاجتماعيّة لا يتمّ إلّا من خلال مواجهة المستكبرين والطغاة، الذين لا يريدون القسط والعدالة لأنّهما يتعارضان مع مصالحهم الشخصيّة والحزبيّة، وإلى غير ذلك.

ومن جهة أخرى، حتّ القرآن الكريم المؤمنين على التشاور في أمورهم، ومنها ما يتعلّق ببناء الدولة وإدارة البلاد، ﴿شَاوِرْهُمْ ﴾ ¹⁰، ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَهِّمْ ﴾ ¹¹. ومن ناحية ثالثة، منع المؤمنين من أيّ تبعيّة ومذلّة لغير الله، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ ﴾ ¹²، ﴿وَلَلَّهِ الْعِزَّةُ ﴾ ¹²، ﴿وَلَلَّهِ اللهُ ﴾ ¹³. ومن جهة رابعة، نفي ولاية أحد على الآخرين وتقدّمه إلّا بالتقوى، والعلم، والإيمان، والجهاد، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ¹⁴.

ومن ناحية خامسة، بيّن لنا القرآن أنّ الصراع بين الحقّ والباطل هو أمر حتميّ، ومستمرّ في التاريخ إلى يوم القيامة، وذلك ما نجده بوضوح في قصص مواجهة الأنبياء مع الطغاة والجبابرة، ومنها على سبيل المثال، مواجهة إبراهيم مع نمرود، وموسى مع فرعون، وداوود مع حالوت. ومن ناحية سادسة، فرض على المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمراحلها جميعًا، ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ 15.

شكّلت هذه القواعد القرآنيّة على الجملة، بالفعل، خارطة الهداية للتجربة الإسلاميّة في إيران على مدى أكثر من ثلاثة وثلاثين سنة من عمر الثورة والجمهوريّة الإسلاميّة. ولعلّ القدرة على الصمود في وجه الحروب ومراحل الحصار من جانب طواغيت العصر وقوى الاستكبار، لهي دليل على الحضور القرآنيّ في عقل القيادة المسدّدة بالهداية الإلهيّة.

إنّ تعيين مدى وميزان الاعتماد على القرآن الكريم وتدبُّر آياته، وجعلها محورًا أساس في نظريّة الثورة، الإسلاميّة، قائم على أساس إدراكها من جانب القيادة الدينيّة التاريخيّة التي أدّت دورًا أساس في انتصار الثورة، أمثال الإمام الخمينيّ، رضي الله عنه، والشهيد مطهّري، قدّس سرّه. لقد كان للإمام الخمينيّ، رضي الله عنه، اهتمامًا خاصًّا بالقرآن الكريم، حيث كان يقرأ القرآن سبع مرّات في اليوم الواحد. بحيث استفاد من كلّ فرصة

¹⁰ سورة آل **عمران**، الآية 159.

¹¹ سورة **الشورى**، الآية 38.

¹² سورة **المنافقون**، الآية 8.

¹³ سورة **النساء**، الآية 141.

¹⁴ سورة ا**لحجرات**، الآية 13.

¹⁵ سورة آل عمران، الآية 104.

تسنح له قراءة القرآن الكريم، فمثلًا نجده يقرأه في الفترة الزمنيّة التي تسبق تحضير الطعام، والتي غالبًا ما تنقضي من دون أداء عمل معيّن، وكذلك، من بعد فترة صلاة الليل وحتّى آذان الصبح.

يقول أحد المقرّبين من الإمام الخمينيّ، رضي الله عنه: تضرّرت عين الإمام الخمينيّ رضي الله عنه في النجف الأشرف، وبعد مراجعته طبيب العيون، طلب منه الطبيب الاستراحة، وعدم القراءة لأيّام عدّة، تبسّم الإمام حينها، وقال لطبيبه: إنّ عيوني هي من أجل القرآن، فما فائدتهما من دونه؟ لذلك أطلب منك أيّها الطبيب أن تعمل شيئًا يجعلني قادرًا على قراءة القرآن.

في السياق عينه، سنرى كيف تعامل الإمام مع القرآن الكريم كموجّه حاسم لثقافة الأمّة في مواجهة قضاياها الكبرى. يقول في أحد نصوصه:

قد بعث الله سبحانه وتعالى هذا النداء الغيبيّ القرآنيّ إليكم؛ بعثه إلى أتباعه، وأتباع القرآن الكريم، من أجل المحافظة على استقلال البلاد الإسلاميّة ورفعة الأمّة الإسلاميّة. يجب عليكم أن تقرؤوا هذا النداء، وتعملوا به، لتستعيدوا استقلالكم وعظمتكم، ولتحظوا بالنصر والرفعة محدّدًا، وإلّا فسوف تسيرون نحو الفناء، في طريق لا يمنحكم إلّا الذلّة والعار، وسوف تكونون فريسةً وعرضةً لجميع قوى العالمَ 16.

وفي السياق إيّاه، يقول السيّد القائد، حفظه الله:

يكمن دور القرآن الكريم في منح النفس الإنسانية نوعًا من الاعتلاء المادّيّ والمعنويّ، وهذا هو ما فعله القرآن الكريم خلال التاريخ. ويستطيع من له اطّلاع على الأحداث التاريخيّة أن يلمس هذه الحقيقة من خلال وقائعه، ونحن بدورنا نشاهد نماذج كثيرة في وقتنا الحاضر تؤكّد على هذا الدور الأساسيّ للقرآن الكريم. من هذه النماذج، هي، أنتم أيّها الشعب الإيرانيّ العزيز، لا تظنّوا بأنّ الشعب الإيرانيّ، في ظلّ الحكومات الطاغوتيّة السابقة كالبهلويّة والقاجاريّة، أو ما سبقها من الحكومات الأخرى، كان يتمتّع بمكانة معتبرة دوليًّا. لم يكن للشعب الإيرانيّ أيّ نوع من الاعتبارات الدوليّة. إنّ مواهب الشعب الإيرانيّ وإبداعاته كانت منسيّة كالكنز المدفون في الأراضي والخرابات المتروكة، قد تظهر بالصدفة يومًا ما، وقد لا تظهر. أمّا اليوم فأنتم تلاحظون هذا الرعيل من الشباب المبدع الفعّال، الذي يمضى قدمًا نحو تطوّر بلاده وتقدّمها، قد حقّق نجاحات باهرة في مختلف

_

¹⁶ الإمام الخميني، كشف الأسوار، الصفحتان 423 و424.

المجالات، أغدقت على البلاد عزةً وكرامةً ورفعةً. إذًا، فالحكومات الطاغيّة هي من قمعت نجاحات الشباب وإبداعاتهم في ذلك الوقت¹⁷.

لقد وصف قائد الثورة الإسلامية القرآن الكريم بالعنصر الذي يلبي حاجات البشرية ومتطلباتها كافة، موضعًا أنّ القرآن يشكّل الدليل على طريق الشعوب من أجل نيلها سعادة الدارين الدنيا والآخرة. ولا يمكن معالجة حالات الضعف والتخلّف والمشاكل التي تعصف بالأمّة الإسلاميّة والتخلّص منها أو استبدالها، إلّا عبر التمسّك بنهج القرآن الكريم والعمل به. إنّ القرآن الكريم هو السبيل الوحيد للشموخ والتقدّم المادّيّ والمعنويّ للشعوب. ويشكّل الشعب الإيرانيّ نموذجًا واضعًا لهذه الحقيقة التاريخيّة. يُعتبر الشعب الإيرانيّ، وببركة هذه الخطوة، من أكثر الشعوب حيويّةً واقتدارًا في عالمَ اليوم. وقد منّ الله، سبحانه وتعالى، على هذا الشعب بالعزّة، والبصيرة، والاقتدار، بفضل تمسّكه بالقرآن الكريم.

وكان الإمام الخمينيّ، رضي الله عنه، في مجمل مواقفه وكتاباته، متأسيًا بنهج الأنبياء وسيرتهم. وكان يرى أنّ من واحب الجميع الإطاحة بالطاغوت، أي القوى السياسيّة المتحكّمة والمهيمنة على أرجاء الوطن جميعًا، حيث نحى الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الخضوع والانصياع للطاغوت والقوى السياسيّة، وأمر سيّدنا موسى، عليه السلام، وأجبره على محاربة السلاطين ومقارعتهم 18.

ولنا أن نشير، أيضًا، أنّ الإمام ينظر إلى القرآن الكريم ككتاب معرفة، يشمل المناهج الروحيّة والتربويّة للإنسان 19. وعلى هذا الأساس، نجد أنّ الأمور الاجتماعيّة التي حثَّ عليها القرآن الكريم بالنسبة إلى أموره العباديّة قد تتجاوز المئة آية مقابل آية واحدة 20.

من هنا، يُطرح السؤال الآتي: هل بالإمكان أن لا نتصوّر أنّ غاية الآيات الواردة في القرآن الكريم حول قتال الكفّار، ومن أجل استقلال البلاد الإسلاميّة وحمايتها، هي بناء دولة العدالة الإلهيّة؟ إنّ أساس الحكم قائم على القوى التشريعيّة، والقضائيّة، والتنفيذيّة، وعلى ميزانيّة بيت المال. وإنّ أساس السلطة وتوسيع نفوذها قائم

-

¹⁷ للمزيد انظر: كلمة الإمام الخامنئي، حفظه الله، في اليوم الأوّل من شهر رمضان المبارك في 8-2-2011.

¹⁸ الإمام الخمينيّ، **ولاية الفقيه**، الصفحة 138.

¹⁹ الإمام الخميني، صحيفة النور، الجزء 17، الصفحة 252.

²⁰ الإمام الخميني، ولاية الفقيه، مصدر سابق، الصفحة 11.

على الجهاد، وأساس المحافظة على استقلال البلاد، وصد هجوم الأجنبيّ قائم على الدفاع. ووردت هذه الأمور والمسائل في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة 21.

ويبيِّن قول الإمام الخمينيّ، رضي الله عنه، ذلك مستندًا إلى الآية الكريمة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ 22:

ليس من الضروري أن تكون هناك جماعات لنستطيع أن نعلن ثورتنا من خلالها، أو بالتعاون معها، يقع هذا الواجب على عاتق كل فرد منا. وثار كثير من رجال الدين، وشهروا سيفهم لوحدهم ضد الطواغيت. وثار النبي إبراهيم، عليه السلام، لوحده وحطم الأصنام، ولم ترعبه وحدته، وقد أمر الله تعالى النبي موسى، عليه السلام، بالثورة والانتفاضة لوحده 23.

وكتب الإمام الخمينيّ، رضي الله عنه، مستندًا إلى الآية 139 من سورة آل عمران ﴿وَلَا تَحْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

إنّ من له ارتباط مع الله، سبحانه وتعالى، لا يهزم ولا يتراجع، لأنّ الهزيمة هي لمن كانت آماله وأهدافه الدنيا، ومن الذين أبحرتهم الدنيا بزخارفها وبحارجها. فمتى ما كانت الثورة لله ومن أجله، لا بدّ من أن يكون الدعم والسداد منه سبحانه وتعالى، فالرجوع إلى الله يبعث في نفس الإنسان طمأنينة لا تعرف الهزيمة أو التراجع، ويخلق فيه شعورًا خاصًّا، لأنّه يرتبط بقدرة أزليّة عظيمة، فمثل هذا الإنسان يتّجه نحو الذات الإلهيّة المقدّسة وإطاعتها، لأنّه يكون كقطرة ماء مدعومة ببحر غير متناهي الأبعاد، فنحن متى ما ارتبطنا بحذا البحر اللامتناهي، نتّصف بصفاته وميزاته. وتعني آية همّا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّه رَمَى الله كَمَ الدّ هي يد الله، لأنّك ارتبطت به، وأنت لا تمثّل شيئًا، كلّ ما هو موجود ومحقق يمثّل القدرة الإلهيّة الحقّة 25.

ويكتب الإمام رضى الله عنه أيضًا:

²¹ الإمام الخميني، كشف الأسرار، مصدر سابق، الصفحة 300.

²² سورة **سبأ**، الآية 46.

²³ الإمام الخميني، صحيفة النور، الجزء 3، الصفحة 202.

²⁴ سورة **الأنفال**، الآية 17.

²⁵ الإمام الخميني، صحيفة النور، الجزء 1، الصفحة 20.

ولقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليتقوم النّاس بالقِسط 26. إنّ الهدف من بعثة الأنبياء هو تنظيم أمور الناس وتحقيق الكرامة الإنسانيّة في ظلّ نظام اجتماعيّ عادل، ولا يمكن أن تتحقّق هذه الأمور إلّا بتأسيس حكومة إسلاميّة. لم يأمر الله سبحانه وتعالى الرسول، صلّى الله عليه وآله، بإبلاغ الناس بما جاء من الأحكام، بل أمره بتنفيذها والعمل بما، مثلًا أمره بأخذ الضرائب المتمثّلة بالخمس والزكاة والخراج وصرفها في مجال تحقيق مصالح المسلمين عامة، وكذلك إجراء الحدود الإلهيّة، والمحافظة على ثغور البلاد وحدودها، والحدّ من تبذير ضرائب الدولة الإسلاميّة وأموالها كذلك. لذلك يُقال إنّ (الفقهاء أمناء الرسل)، أي تقع كلّ الأمور المناطة بالأنبياء والرسل على عاتق عدول فقهاء المسلمين ويتحمّلون مسؤوليّتها، ويجب عليهم تنفيذها 27.

يعتبر الإمام الخمينيّ، رضي الله عنه، شموخ البشريّة وثباتها مرهون بتنفيذ الأحكام والقوانين الإلهيّة. ولذا، من الضروريّ أن تكون هناك شروط معيّنة للسلطة والحكم، وهي تتعلّق بصورة مباشرة بطبيعة الحكومة الإسلاميّة، حيث نجد شروطًا عامّة كالعقل والتدبير، وهناك منها شرطان أساسيّان:

الأوّل: بما أنّ الحكومة الإسلاميّة هي حكومة القانون، فلا بدّ للحاكم من أن يكون ملمًّا بالقوانين الإسلاميّة، ويجب أن تتوفّر فيه الأفضليّة العلميّة.

الثاني: يجب أن يتصف الحاكم بكمال الأخلاق والعقيدة، وأن يكون عادلًا غير ملوّث بالمعاصي، فمن يريد أن يطبّق حدود الله ويطبّق قانون الجزاء الإسلاميّ، كالتصدّي لبيت المال الذي يشمل واردات البلاد وصادراتها، ومن يعهد إليه الله سبحانه وتعالى إدارة شؤون عباده، يجب أن لا يكون عاصيًا لأوامره تعالى، ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ 28، لأنّ الله تعالى لا يوكل مثل هذه الصلاحيّات إلى حاكم جائر ظالم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ 29.

كما يأمركم الله سبحانه وتعالى، اليوم، بأداء الأمانات إلى أهلها. ويقول سبحانه في ذيل الآية الكريمة كذلك: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾. وهذا الخطاب موجّه إلى من زمام أمور البلاد بيده؛ أي مسؤولي البلاد عامّة، ولا تخصّ القضاة، لأنّ القاضي يقضى بين الطرفين، ولا يحكم. وعندما تكون المسائل

²⁶ سورة **الحديد**، الآية 25.

²⁷ الإمام الخميني، ولاية الفقيه، مصدر سابق، الصفحات 77 إلى 79.

²⁸ سورة **البقرة،** الآية 124.

²⁹ سورة **النساء**، الآية 59.

الدينيّة المتمثّلة في الأمانة الإلهيّة، والتي يجب أن تعاد إلى أصحابها وأهلها، تكون الحكومة إحدى هذه الأمانات المشار إليها في هذه الآية الكريمة، وعلى هذا الأساس، يجب أن تكون أمور حكومة البلاد وإدارتها قائمةً على إقامة العدل.

نحن نعيش، اليوم، في زمن غيبة الإمام المهديّ، عجل الله فرجه، فإن لم يكن هناك تعيين إلهيّ للشخص الحاكم، فهناك خصائص وميّزات يجب أن تتوفّر في الذي يمثّل عصر غيبة المعصوم، عجّل الله فرجه، وهي خصائص أساسيّة موجودة منذ صدر الإسلام وحتّى يومنا هذا.

إنّ الخصائص والميّزات القياديّة هي عبارة عن الاتّصاف بالعدالة والعلم بالقانون، فإذا تولّى شخص معيّن إدارة حكومة البلاد تتوّفر فيه شروط الحاكم من العدالة والعلم، وكانت ولايته للناس مستندة على أساس ولاية الرسول، فعلى الجميع طاعته والانصياع لحكمه³⁰.

المحور الثاني: هو كيفيّة تعامل الثورة الإسلاميّة في إيران مع القرآن بعد الانتصار

لقد جعلت الثورة القرآن ومفاهيمه السياسيّة محورًا أساسيًّا للتخطيط، والتشريع، والتنفيذ في النظام الإيرانيّ، إن على مستوى السياسة الداخليّة أو الخارجيّة. ويظهر هذا الاهتمام، حليًّا، في الدستور الإيرانيّ الذي انبثق من المبادئ القرآنيّة. فقد اتّخذت الثورة الإسلاميّة موقعيّتها في الدستور كثورة ثقافيّة ودينيّة قرآنيّة من قبل أن تكون ثورة سياسيّة واقتصاديّة. وهو ما تفصح عنه المادّة الأولى من الدستور التي تنصّ على أنّ:

نظام الحكم في إيران هو الجمهوريّة الإسلاميّة التي صوّت لها الشعب الإيرانيّ بالإيجاب بأكثريّة 98% ممّن كان لهم حقّ التصويت، من خلال الاستفتاء العامّ الذي جرى في العاشر والحادي عشر من شهر (فروردين) سنة ألف وثلاثمئة وثمان وخمسين (1358) هجريّة شمسيّة، الموافق للأوّل والثاني من جمادى الأولى سنة ألف وثلاثمئة وتسعين (1399) هجريّة قمريّة.

وأنتم تعلمون كيف شارك الشعب في هذا الاستفتاء العامّ انطلاقًا من إيمانه الأصيل بحكومة القرآن العادلة الحقّة.

_

³⁰ الإمام الخمينيّ، ولاية الفقيه، مصدر سابق، الصفحات 51 – 53.

واتّخذ الدستور بعض الآيات القرآنيّة مصدرًا مباشرًا لبعض بنود الدستور، من باب المثال، المواد السابعة والثامنة والحادية عشرة والرابعة عشرة والحادية والخدمسون بعد المئة، استند الحكم فيها إلى الآيات القرآنيّة:

المادّة السابعة: طبقًا لما ورد في القرآن الكريم ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴿ 31 ، و ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ 32 ، تعتبر مجالس الشورى من مصادر اتّخاذ القرار وإدارة شؤون البلاد، وتشمل هذه المجالس: مجلس الشورى المحافظة، والقضاء، والبلدة، والقصبة، والناحية، والقرية، وأمثالها.

المادة الثامنة: في جمهوريّة إيران الإسلاميّة، تعتبر الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤوليّة جماعيّة ومتبادلة بين الناس، فيتحمّلها الناس بالنسبة لبعضهم بعضًا، وتتحمّلها الحكومة بالنسبة للناس، والناس بالنسبة للحكومة. والقانون، يعيّن شروط ذلك وحدوده وكيفيّته؛ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولِيّاءُ بَعْضِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ 33%.

المادة الحادية عشرة: بحكم الآية الكريمة ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ \$ 34، يعتبر المسلمون أمّة واحدة، وعلى حكومة جمهوريّة إيران الإسلاميّة إقامة كلّ سياستها العامّة على أساس تضامن الشعوب الإسلاميّة ووحدتها، وأنّ تواصل سعيها من أجل تحقيق الوحدة السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة في العالم الإسلاميّ.

المادة الرابعة عشرة: بحكم الآية الكريمة ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْوِجُوكُمْ مِنْ وَيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿35، على حكومة جمهوريّة إيران الإسلاميّة، وعلى المسلمين أن يعاملوا الأشخاص غير المسلمين بالأخلاق الحسنة، والقسط والعدل الإسلاميّ، وأن يراعوا حقوقهم الإنسانيّة. وتسري هذه المادّة على الذين لا يتآمرون، ولا يقومون بأيّ عمل ضدّ الإسلام أو ضدّ جمهوريّة إيران الإسلاميّة.

³¹ سورة **الشورى**، الآية 38.

³² سورة آل عمران، الآية 135.

³³ سورة **التوبة**، الآية 51.

³⁴ سورة **الأنبياء**، الآية 92.

³⁵ سورة **الممتحنة**، الآية 8.

وفي البند الرابع، جعل الموازين الإسلاميّة، المبتنية على الكتاب والسنة، أساسًا للقوانين والقرارات المدنيّة، والجزائيّة، والماليّة، والاقتصاديّة، والإداريّة، والثقافيّة جميعًا، وغيرها.

المادة الرابعة: يجب أن تكون الموازين الإسلامية أساس القوانين والقرارات المدنيّة، والجزائيّة، والماليّة، والاقتصاديّة، والإداريّة، والثقافيّة، والعسكريّة، والسياسيّة وغيرها. وتعدّ هذه المادّة نافذةً على جميع مواد الدستور والقوانين والقرارات الأحرى إطلاقًا وعمومًا. ويتولّى الفقهاء في مجلس صيانة الدستور تشخيص ذلك.

وقد جعل مجلس الصيانة للدستور ضمانًا لتطبيق هذا الأصل، وجعل هذه المادّة حاكمةً على جميع المواد في الدستور، كما أنّه أخرج هذا الأصل عن إمكان تعديله في المستقبل.

الفصل الرابع عشر: إعادة النظر في الدستور

المادّة السابعة والسبعون بعد المئة: تتمّ إعادة النظر في دستور جمهوريّة إيران الإسلاميّة في الحالات الضروريّة على النحو الآتي:

يقوم القائد بعد التشاور مع مجمع تشخيص مصلحة النظام، وفق حكم موجّه إلى رئيس الجمهوريّة، باقتراح المواد التي يلزم إعادة النظر فيها، أو تكميل الدستور بحا، والدعوة إلى تشكيل مجلس إعادة النظر في الدستور على النحو الآتي:

- 1. أعضاء مجلس صيانة الدستور.
 - 2. رؤساء السلطات الثلاثة.
- 3. الأعضاء الدائمون في مجمع تشخيص مصلحة النظام.
 - 4. خمسة أشخاص من أعضاء مجلس خبراء القيادة.
 - 5. عشرة أشخاص يعيّنهم القائد.
 - 6. ثلاثة أعضاء من مجلس الوزراء.
 - 7. ثلاثة أشخاص من السلطة القضائية.

- 8. عشرة نوّاب من مجلس الشورى الإسلاميّ.
 - 9. ثلاثة أشخاص من الجامعيين.

ويحدّد القانون كيفيّة العمل وأسلوب الانتخاب وشروطه. ويجب أن تُطرح قرارات هذا المجلس للاستفتاء العام، بعد أن يتمّ تأيّيدها والمصادقة عليها من قبل القائد، وتحصل على موافقة الأكثريّة المطلقة للمشاركين في الاستفتاء العام. ولا تلزم رعاية ذيل المادّة التاسعة والخمسين في هذا الاستفتاء.

أمّا مضامين المواد المتعلّقة بكون النظام إسلاميًّا، وقيام القوانين والمقرّرات كلّها على أساس الموازين الإسلاميّة والأسس الإيمانيّة، وأهداف جمهوريّة إيران الإسلاميّة، وكون الحكم جمهوريًّا، وولاية الأمر، وإمامة الأمّة، وإدارة أمور البلاد، كذلك، بالاعتماد على الآراء العامّة، والدين، ومذهب إيران الرسميّ، فهي من الأمور التي لا تقبل التغيير.

إضافةً إلى ذلك، شكّل حضور القرآن محورًا رئيسيًّا في موقع رئاسة الجمهوريّة ونوّاب مجلس الشورى في تنظيم القيام بواجباتهم و مهمّاتهم.

المادة السابعة والستون: على النوّاب أن يؤدّوا اليمين التالية في أوّل اجتماع للمجلس، ويوقّعوا على ورقة القسم:

بسم الله الرحمن الرحيم

أقسم أمام القرآن الكريم بالله القادر المتعال، وألتزم بشرفي أن أكون مدافعًا عن حريم الإسلام، حاميًا لمكاسب ثورة شعب إيران الإسلاميّة، ولأسس الجمهوريّة الإسلاميّة، وأن أحفظ الأمانة التي أودعها الشعب لديّ باعتباري أمينًا، وعادلًا، وأن أراعي الأمانة والتقوى في تأدية مسؤوليّات النيابة، وأن أكون، دائمًا، ملتزمًا باستقلال الوطن ورفعته، وحفظ حقوق الشعب، وحدمة الناس، وأن أدافع عن الدستور، وأن أستهدف في تصريحاتي، وكتاباتي، وإبداء وجهات نظري، ضمان استقلال البلاد وحرّيّة الناس، وتأمين مصالحهم.

ويؤدّي نوّاب الأقليّات الدينيّة اليمين مع ذكر كتابهم السماويّ، والأولى على النوّاب الغائبين عن الجلسة أداء اليمين في أوّل جلسة يحضرونها. المادّة الحادية والعشرون بعد المئة: يؤدّي رئيس الجمهوريّة اليمين الآتية، وتوقّع على ورقة القسم، في مجلس الشورى الإسلاميّ في حلسة يحضرها رئيس السلطة القضائيّة، وأعضاء مجلس صيانة الدستور:

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّي باعتباري رئيسًا للجمهوريّة، أقسم بالله القادر المتعال في حضرة القرآن الكريم، وأمام الشعب الإيرانيّ أن أكون حاميًا للمذهب الرسميّ، ولنظام الجمهوريّة الإسلاميّة، وللدستور، وأن استخدم مواهبي وإمكانيّاتي كافّة في سبيل أداء المسؤوليّات التي في عهديّ، وأن أجعل نفسي وقفًا على خدمة الشعب، ورفعة البلاد، ونشر الدّين والأخلاق، ومساندة الحقّ، وبسط العدالة، وأن احترز عن أيّ شكل من أشكال الديكتاتوريّة، وأن أدافع عن حريّة الأشخاص وحُرُماتهم، والحقوق التي ضمنها الدستور للشعب، و لا أقصر في بذل أيّ جهد في سبيل حراسة الحدود، والاستقلال السياسيّ والاقتصاديّ والثقافيّ للبلاد، وأن أعمل كالأمين المضحّي على صيانة السلطة التي أودعها الشعب عندي وديعةً مقدّسةً مستعينًا بالله، ومتّبعًا نبيّ الإسلام والأئمّة الأطهار عليهم السلام، وأن أسلّمها لمن ينتخبه الشعب من بعدي.

كما يتمثّل دور النظام الإسلاميّ في إيران بنشر الثقافة القرآنيّة، وتربية القرّاء، والحفّاظ، والمفسّرين، وطباعة القرآن والكتب المرتبطة به كذلك، وهو دور لافت ومهمّ. وبالتالي يمكن أن نقول: إنّ إيران حاليًّا هي الدولة الأولى في العالم الإسلاميّ التي اهتمّت بالقرآن في الجالات العمليّة والتطبيقيّة وغيرها. وقد أسّست مراكز متعدّدة مهمّتها نشر القرآن ومفاهيمه. وثمّة شبكةً إذاعيةً تلفزيونيّةً خاصّة تبثّ البرامج القرآنيّة من القراءة والتفسير وإلى غير ذلك؛ كما تقيم الحكومة سنويًّا مهرجانات ومسابقات دوليّة في الحفظ، والقراءة، والتفسير، ويشارك فيها [متسابقون] من الدول الإسلاميّة كافّة.

لقد أتاح النظام الفرصة لكل من يريد أن يرتقي في الجالات القرآنيّة، وفي هذا الإطار منح عناية خاصّة للحفّاظ والقرّاء، أهمّها الإعفاء من الخدمة العسكريّة، وانتسابهم للجامعات من دون امتحان دخول، وإلى غير ذلك.

والجدير بالذكر، إنّ الأنشطة القرآنيّة في إيران لا تختصّ بالرجال، بل ثمّة حضور فاعل للمرأة في الميادين القرآنيّة كافّة؛ كما تشمل هذه الأنشطة الساحات ومنها: الفنّ، والفنّ السابع. فقد أنتجت أفلام كثيرة حول المواضيع القرآنيّة، منها مسلسل النبيّ يوسف، ومسلسل أصحاب الكهف، وإلى غير ذلك.

ولا بدّ من الإشارة، أيضًا، إلى تأسيس وكالة الأنباء القرآنيّة (ايكنا) التي تعتبر مبادرة مهمّة لنشر الفعاليّات القرآنيّة داخل إيران وخارجها. وتعمل هذه الوكالة في أكثر من عشرة لغات، منها العربيّة والإنكليزيّة.

وفي إيران اليوم آلاف الحفّاظ. وثمّة برامج واستراتيجيّات تشمل أكثر من عشرة ملايين حافظ، تنفيذًا لما طلبه السيّد القائد من المسؤولين المعنيّين.